خواطر تاريخية

عدنان الحسني

"اعلام"

ابن بطوطة

الجزء الاخير

ومما يذكر ان من قام بنقل اخبار رحلاته هو محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس حيث دونها في العام ٧٥٦ هجرية وسمّاها بـ تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار حيث ترجمت الى عدة لغات، ومما يذكر ابن بطوطة عن رحلاته تلك "وكان خروجي من طنجة مسقط راسي.. يوم الخميس الثاني من رجب للعام ٧٢٥ هجرية الموافق لـ ١٣٢٤ ميلادي.. وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا نصبا" من ظاهر ما دوّن وكتب نرى ان ابن بطوطة لم يكن خروجه لقضاء رحلة او تنفيس عن كرب او استزاده في مشاهدة ولكن كان سفرا دراسيا وعلميا فهو قد تحمل الغربة والفراق على مضض ويظهر انه اراد باسفاره تلك تثبيت مارآه وتدوين العادات والتقاليد والطبائع والتضاريس والانهار والمناخ لكل ما شاهده وعايشه..

ورحالتنا يتقن بعض اللغات الاساسية التي تفيده في رحلاته تلك.. قام ابن بطوطة بثلاث مراحل لاسفاره استغرق في مجموعها نحو ٢٩ سنة اطول هذه الرحلات كانت رحلته الاولى.. اذ اقامته في بلاد الهند والصين وما قاربهما.. ومن مدن ودول.. حيث تولى القضاء لمدة عامين في بلاد الهند وتولى ايضا القضاء في بلاد الصين لمدة تقارب ذلك وفي هذه الرحلة وصف كل ما عاينته حواسه اذ تفنن في وصف كل ماراه.. من عادات وتقاليد من ملبس ومطعم ومشرب من اخلاق وضيافة وحوادث وحروب وغزو وطالما كان يمعن في مشاهداته بحيث انك ترى ان المنقول في تدويناته كانه على مرأى وكانت تدويناته تلك المدونات النافعة..

اذ سجل كل ما تمتاز به تلك الشعوب التي قام بمعايشتها بالاضافة الى انه دون للجغرافيا والتاريخ فقد افاد بمدوناته تلك الدارسين والباحثين والمهتمين عموما.. ومن الجدير بالذكر ان ما قطعه هذا الرحالة من اسفار يقارب الـ ١٢٠,٧٠١ كيلومترا ابتداءا من المغرب من طنجة وفاس الى الجزائر، تلمسان ومليانه والجزائر المدينة الى جرجره فـ بجاية فـ قسطنطينة فـ عناية.. ثم الى تونس فمصر، ومن ذلك الى الجزيرة العربية فالبحرين وعمان بضم العين وقد توقف بعض الوقت عند مضيق هرمز فوصفه ودون له..

ثم الى الهند، دلهي، وميخار والمالديف، وسريلانكا وبنغلاديش اذ تعرف بـ "شاطيء الكورماندل" ثم الى نهر المينغا فسومطرة ثم الى الصين وقد زار ابن بطوطة ايضا.. اوربا حتى وصل الى نهر الفولغا واسيا الوسطى ثم الى خوارزم وخرسان، وكابل والبنجاب وزار الرحالة ايضا افريقيا اذ ابتداها بالمغرب العربي في ليبيا ثم الى جنوب افريقيا حتى وصل الى سواحل الصومال فعلا.. ثم الى مالي..

يستدل مما سبق ان رحلاته تلك كانت رحلات طويلة يشق من خلالها مياه البحر ويستطرق اليابسة بحثا عن مايدونه ليكون القاريء على فهم ودراية بكفية معيشة تلك الامم.. عاداتها وتقاليدها وكل ظواهر اشياءها واشكالها.. ويجب ان نعلم ان الوصول الى تلك البلدان في تلك الحقبة من الزمن كانت صعبة للغاية ولا تفارقها المشقة والنصب فوسائل النقل ليس بخاف على احد لم تكن تلك الوسائل التي تختزل الزمن بالقدر الكافي.. ناهيك عن ان رحلاته تلك كانت بجهد فردي..

اذ لم تكن لامؤسسات علمية ولا ما شابه ذلك تاخذ على عاتقها تلكم الاسفار.. بقي القول ان الرحالة ابن بطوطة ربما قد اخذ جانبا من الاهتمام عند الصروح الثقافية الغربية ولم يأخذها عند العرب كما يجب!!.

التأثير المشترك بين القصص والراويات السريانية والعربية

فؤاد يوسف قرانجي

هناك الكثير من التأثير المتبادل بين الثقافة السريانية التي تعود الى القرون الميلادية الاولى والتراث العربي.ويشمل ذلك اقاصيص الاولين بالاضافة الى روايات بعضها تاريخية والبعض الاخر هي حكايات فلكلورية او ميثولوجية متداخلة ذات اثر ديني تهدف الى العبرة والحكمة. وقد وجدت هذه القصص السريانية المؤلفة او المترجمة عن اليونان والفرس طريقا الى التراث العربي خاصة عندما اختلط العرب بالمسيحية في سوريا وفلسطين والعراق. وبرز هذا التأثير والمثاقفة في مملكة الغساسنة في سوريا ومملكة المناذرة في العراق حيث بدأت الثقافة ومظاهر الحضارة السريانية تنضج في القرنين السادس والسابع للميلاد. وقد انتقلت هذه الروايات والقصص ذات الاثر الديني والروحي عن طريق العيش المشترك والاتصال الاجتماعي والتفاعل الفكري خاصة في القرنين السابع والثامن للميلاد حينما بدأ العرب يكتبون ادبهم ويسجلون ثقافتهم. وكانت معظم تلك الراويات ذات اغراض انسانية واخلاقية وروحية هدفها العبرة والاعتبار بمعجزات الرب او بأخذ العبرة من نهاية اولئك الابطال القدماء امثال الملك الاسطوري نمرود والامبراطور دقليانوس والاسكندر الاكبرذي القرنين وكورش وغيرهم الذين ذوت ممالكهم لكنهم خلفوا تاثيرات ثقافية وادبية ولغوية على الفكر السرياني والعربي. اما ابرز تلك الروايات فهي كما يأتي :

اولا: قصة اهل الكهف

وهي قصة سريانية محضة، انتشرت في سوريا والجزيرة العربية ووجدت منها نسخ باللغتين الارامية والسريانية، وترجمت في القرن السادس بشكل موجز الى اللغة العربية لكن المهم انها انتشرت بين السريان والعرب. وكان قد روى هذه الرواية العجائبية المسيحية المؤرخ السرياني يوسابيوس الذي كتبها في القرن الخامس للميلاد وسماها "قصة نائمي افسس السبعة". وسرعان ما اصبحت هذه الرواية الدينية مشهورة وبقيت متداولة في بيزنطة وقام احد ملوكها ببناء كنيسة مجاورة للكهف الذي حدثت فيه الاعجوبة المسيحية ولاتزال اثارها موجودة حتى اليوم في غرب تركيا. وتروى هذه الرواية حتى وقت قريب بين المسيحيين اذ ان هنالك مثل موصلي يقول اشارة الى القدم فيما يروى من احداث "من عهد دقليانوس ادد قيانوس". واما في القرون الميلادية الاولى فقد انتشرت في سوريا، وقد وصلت الينا شعرا كتبها الشاعر السرياني المعروف يعقوب السروجي "ت٥٢١م" الذي نظم ملحمة اهل الكهف على الوزن السرياني "الاثنى عشري" وتقع الملحمة في اربعة وسبعين بيتا، نشرها اولا العلامة الايطالي كويدي وترجمت الى اللغة العربية مطلعها:

متى رقد اهل الكهف؟وما مدى رقادهم ومتى استيقظوا؟!

ثم وصلتنا الرواية نثرا من الكاتب السرياني زكريا الفصيح "ت ٥٣٦ م" واعاد كتابتها المؤرخ المعروف يوحنا الافسسي "ت ٥٨٧ م". وكانت هذه الحادثة العجائبية قد وقعت في زمن الامبراطور دقليانوس الاثيم "٢٤٩-٢٥١م" . وكانت احداث هذه الرواية في زمن الامبراطور ثيو دوسيوس المؤمن "٤٠٨-٤٥٠م" وتبلغ فترة رقاد المؤمنين الفتية السبعة زهاء مائتي سنة او اكثر بقليل. ويذكر الرواية ايضا مؤلف اخر هو الرهاوي المجهول "ت١٢٣٤م" وكذلك العلامة ابن العبري "ت،١٢٨٦م". وقد اكدت المصادر الرومانية ان الكهف الذي رقد فيه الفتية موجود في جبل "انكليوس" في ضواحي افسوس التي اهملت بعد الاستيلاء عليها في القرن الخامس عشر ثم شيدت على انقاضها مدينة "ايا سلوك" والاسم تحريف لاسم الكنيسة المبنية قرب الكهف والتي لا تزال اثارها واعمدتها الضخمة شاخصة حتى اليوم وتدعى "ايوس يوهانس ثيلوتوس" اي كنيسة مار يوحنا اللاهوتي. زار المدينة وكهفها رسول من الخليفة المعتصم والارجح هو محمد بن موسى بن شاكر من بيت الحكمة البغدادي، كما زارها ابن بطوطة. وذكر البيروني ان عيد اصحاب الكهف هوالخامس من تشرين الثاني من كل عام.

اما الاعجوبة فانها حدثت لهؤلاء الشباب في مدينة افسوس احدى المدن الواقعة في غربي تركيا وذلك في القرن الثالث الميلادي في زمن الامبراطور دقليانوس. وكان هؤلاء السبعة ابناء من العائلات الراقية في المجتمع وقد اهتدوا الى المسيحية: وقد القى القبض عليهم بناء على ذلك، وارسلوا الى الامبراطور الذي استدعاهم امامه وهددهم بالموت ان لم يرجعوا الى عبادة الهة الرومان، واعطاهم مهلة وجيزة. ومن شدة خوفهم هرب الشبان السبعة واختبأوا في كهف خارج المدينة وحينما ناموا ليلتهم وبقدرة الرب واستمروا في نومهم لمدة طويلة تقارب الثلاثمائة سنة. وحينما نهضوا من نومهم كان العالم والناس قد تغيروا والحياة قد تبدلت واصبحت بيزنطة امبراطورية مسيحية.

وبعد حدوث وقائع تمثل جهلهم بما اصاب مدينتهم من تغيير كبير يعثرون على احفاد احفادهم. اما الرواية الموجودة في التراث العربي فقد جرت بشكل مماثل تقريبا للقصة السريانية من بينها ما روى الشيخ محمد بن احمد الحنفي حيث يجعل من اهل الكهف وزراء ومستشارين تابعين الى الامبراطور دقليانوس من الذين كرهوا الاوثان فهربوا واختبأوا في كهف يتبعهم كلب احد الرعاة ثم ناموا وكانوا ايضا سبعة اشخاص وثامنهم كلبهم. ويعترف الشيخ الحنفي ان الرواية حدثت في الفترة بين المسيحية والاسلام، وانهم كانوا يسكنون في ارض رومية في مدينة افسس، فلما جاء الاسلام تغير اسمها الى ترسوس. ومن الجدير بالذكر انه يوجد في الاردن كهف ينسب الى اهل الكهف المذكورين في الرواية العربية - الاسلامية.

ثانيا: رواية جوج ومأجوج

رواية اسطورية يهودية ذكرت في سفر التكوين "١٠: ٢" على اساس ان ماجوج ثاني ابناء يافث، ويفسر ذلك الباحثون اليهود بانهم من قبائل السكيثيين البرابرة الذين كانوا يأتون من الشمال قواتهم فرسانا ومشاة متسلحين بالقسي ! وورد في سفر حزقيال "٣٨: ٣٩" ان جوج كان رئيسا على ماشك وتوبال وهو يوصف بانه سيقوم بغزو اليهود في اخر الايام وسيتم قتله على الجبال في مذبحة هائلة. والحقيقة ان ياجوج وماجوج ذكرت في التوراة عن اقوام يرمزون الى الوثنية والوحشية لانهم يعاكسون ويقاومون ملكوت الله. ويدّعي بعض الباحثين اليهود ان الاسم جوج محرف عن كيكس او جيسيس الذي يفترضون فيه ان الملك اشور بانيبال قد اشار اليه باسم "جوجو؟"، وانه في عام "٧٠٠ ق. م." قتل سيده الليدي المنافس للاسرة الهرقلية"كذا" واغتصب عرش مملكة ليديا، في حين ان اشور بانيبال لم يكن قد ولد في عام "٧٠٠ ق. م.".

كما ذكر جوج في كتابات المؤرخ هيروتس لعله نقلها عن الاسطورة اليهودية او العكس بالعكس. وقد ذكر الرواية ايضا فلافوس يوسفوس في القرن الاول الميلادي. وفي القرن السادس للميلاد قام احد الكتاب السريان برواية قصة جوج وماجوج وجعلهما من الغزاة الهونيين الذين كانوا في احدى الفترات قد هاجموا بيزنطة.. كما ان رواية جوج وماجوج قد ذكرت في التراث العربي - الاسلامي وربطت بقصة الاسكندر ذو القرنين لان هؤلاء المتوحشين ابناء جوج وماجوج كانوا من المتوحشين الذين لا يتركون مخلوقا ذا روح الا ويأكلونه وهم لا يحصون لكثرتهم. وقد سعى الاسكندر الاكبر لبناء سد من الحديد والنحاس بين الجبال البعيدة في اخر العالم! لصدهم وحصرهم في مكانهم وكانوا كلما حاول ثقب السد، كان الثقب يعود كما كان بقدرة الله. وهكذا يظلون محجوزين خلف السد الى قيام الساعة.

التاريخ: شاهد عدل لا شاهد زور!!

الدكتور سيار الجميل*

التاريخ مصدر الهام لاندفاع الشعوب نحو اثبات الذات واحراز التقدم هذه حقيقة ثابتة عرفتها المجتمعات الانسانية منذ القدم، فكما ان للانسان تجاربه وخبراته في الحياة وهي تتوسع وتتعمق على امتداد السنين وتزداد قيمة الانسان كلما امتد به الزمن وكلما حفلت به التجارب، فكذلك المجتمعات أيضا لها خبراتها وتجاربها التي تعد خزين قوي من أدوات التفكير والحكمة والرؤية لاستحضار الحلول والعلاجات التي تحتاجها في حياتها.

واذا كان الانسان -كما يصفه الفيلسوف هيغل- له تجربة منقطعة لأنه صاحب رحلة قصيرة ليأتي غيره من بعده، فان المجتمع حي لا يموت هكذا بسرعة وعلى امتداد عصر كامل او عصور طوال. وكما جاء في القرآن الكريم: "وتلك الإيام نداولها بين الناس". وعليه، فان لكل مجتمع تاريخه الذي يعتز به سواء يحمل ايجابياته وسلبياته، وليس هناك اي امة من امم الارض تطمح للوصول الى غاياتها وأهدافها المرسومة في التقدم والتطور ان لم تضع التاريخ ركيزة أساسية في صنع اجيالها المتعاقبة، وسواء كان ذلك التاريخ تاريخها بالذات ام تاريخ العالم كله، فللتاريخ دوره في تكوين اي جيل قوي.

التاريخ العدل: ارنولد توينبي

هكذا يستوجب من الدولة والمجتمع معا استعادة هذا "الدور" في التربية الوطنية، كي يقف النشء الجديد بشكل خاص والجيل الجديد بشكل عام على تجارب الاباء والاجداد في مراحل شتى من الازمان. ان ذلك بكل تأكيد، يولد الشعور بحالة التواصل، ويعمل على خلق آصرة حقيقية من سلسلة حياة تاريخية متجددة يسميها الفيلسوف البريطاني المؤرخ الشهير آرنولد توينبي بـ "مبدأ الابوة والبنوة". فالابناء من دون تاريخ لن يعرفوا آباءهم واجدادهم، وبالتالي لن يدركوا طبيعة جذورهم خصوصا اذا ما كانت الامة تمتلك تواريخا مثقلة بالاحداث المهمة.. وان اهميتها تبدو واضحة من خلال استمرارها بأوجه مختلفة تتجدد من زمن الى آخر بحكم استراتيجية المكان او بحكم طبيعة الثروات والخيرات التي يتميز بها ذلك المكان. ولكن أي "تاريخ" يريده إرنولد توينبي، ليس هو المزوّر، ولا المشوه، الذي يبتدعه المتعصبون والمتطرفون الذين لا يعرفون الموضوعية، ولا الحياد، ولا نسبية الامور، ولا فهم طبيعة التحديات.. او انهم قد يعرفون ذلك كله، ولكنهم، يزوّرون التاريخ لاغراض تسويق بضاعتهم السياسية او الايديولوجية اليوم.. انهم لا مانع لديهم من بناء جيل كامل على ما يريدون تسويقه من التاريخ..

وهذا ما جرى في بيئات متعددة من حياتنا في العصر الحديث، اذ ولدت اجيال وهي تحمل ازدواجية في ثقافتها التاريخية او تغدو مضادة لكل ما جرى في التاريخ، كونها - مثلا- تتعلم التاريخ الرسمي بصيغة معينة في المدارس، ولكنها تجد تاريخا شعبيا مسيطرا عليها من نوع آخر في الاوساط الاجتماعية.

مسؤولية انحرافات التاريخ في تدمير الحاضر

ان استعادة مادة التاريخ من جديد كي تؤدي دورها في تكوين الاجيال الجديدة سيغرس نزعات في النفوس والعقول غاية في الاهمية تدفعها لمقارنة الاحوال بين الامس واليوم، بل وتوقفها من خلال اوجه التشابه والافتراق على كيفية مواجهة المستقبل. وهذا ما تؤكد عليه الدراسات المعاصرة اليوم في الامم المتقدمة، بحيث غدت مادة التاريخ من اساسيات التكوين الوطني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي عندما يتربى الانسان منذ صغره على حب التاريخ وعشق الزمن لا بصفة تقديس للماضي والتشرنق فيه بل من اجل اطلالة عليه لمعرفة نقاط الضعف والقوة.. ناهيكم عن تكوين ثقافة تاريخية موسوعية منذ الصغر يتقبلها بواسطة الصور والالوان والمشاهدات والرسومات لاهم ما تميزت به الحياة في الماضي واستيعابه منذ الصغر جملة من المعاني والاشياء التي يمكنه من خلالها مواجهة التحديات التي يفرضها عليه المستقبل حتما. وعليه، فالتوظيف التاريخي من اهم حاجات الاجيال، ولكن ليس كما يجري اليوم بحيث نرى استخدام التاريخ بعد استدعائه ليكون اداة رهيبة في تفسيخ المجتمع، والرقص على جراحات الماضي، او دعوته ليكون شاهد زور على واقعنا المضني.. لقد غدا "التاريخ" اداة ضارة بدل ان يكون خزين ذاكرة مشتركة.. لقد غدا معولا هداما للماضي وسكينا حادة لتقطيع الحاضر وتشويه المستقبل.

مأساة ثورة المعلومات في تزوير التاريخ

ان طبيعة التحولات الجذرية التي أصابت العالم كله منذ عشر سنين ومازالت تتفاعل في ظل الانفتاحات الواسعة سواء المعرفية المعلوماتية ام الميدية الاعلامية والتي تسحب اجيالنا اليها سحبا سحريا لتجعلهم جزءا من ثقافة عولمية متنوعة ومختلطة.. لن يجابهها الانسان وليس باستطاعته اداء دوره فيه ان لم تكن لديه ثقافة اصيلة ومعرفة متمكنة وحيادية مجردة.. بتواريخه وعاداته وتقاليده وموروثاته وكل تجاربه التي تمكنه في حقيقة الامر من مجابهة ذلك المستقبل وما سيبعثه من التحديات القوية والصاعقة على امتداد القرن الواحد والعشرين. ان الزمن كلما يتقدم الى الامام تزداد اهميته وقيمته في حياة البشرية قاطبة وان الوعي بهذه المسألة من اهم مستلزماتنا في هذا الوجود.. ولما كان التاريخ هو التعريف بالزمن ومضامينه ومحتوياته واشكاله وعناصره.. فان اهميته تكاد تكون مركبة وتزداد تراكيبها مع استمرار الزمن وتواصل الاجيال.

السؤال الان: الى اي مدى يمكن توظيف التاريخ لربط المجتمع بمآثر ماضيه؟

لعل من ابرز الامور واكثرها اهمية في حياة هذا العصر وفي مثل هذه الايام: معرفة استخدام المعلومات التاريخية الاقرب الى الحقائق كجزء من المعرفة الاساسية من اجل تكوين رؤية مستقبلية لما ستؤول اليه الاوضاع قبل ان تغدو تلك المعرفة وسيلة لمعالجات يحتاجها الواقع، اي واقع مليء بالتحديات وهو يسعى في مجال التنمية ويشارك في اطوار هذا العصر المتنوعة في كل المجالات. ان المدى الذي تتمتع به المعرفة التاريخية يشكل بحد ذاته ذاكرة اساسية في حياة كل من الدولة والمجتمع، اذ لا يمكن ان يتقدم اي بلد من بلدان العالم، او اي مجتمع من مجتمعاته المعاصرة دون التوغل في الجذور سواء ما يخص الهوية الوطنية او الذاكرة الشعبية او الانتماء لتاريخ ناصع يعتمد في بناء قيمته على عنصرين اساسيين:

اولاهما ثقل احداثه وقيمة شخوصه وريادة ابطاله وقوة آثاره ودور مؤثراته على الاقليم او المنطقة والعالم.

ثانيهما اتساع مداه بحيث كلما كان تاريخ البلاد غارق في قدمه وان اي جيل يكشف عن جذور جديدة للتاريخ في تلك الارض .. فان اتساع المدى يشكل قيمة حضارية مضافة الى المعرفة الوطنية اولا والى المعرفة الانسانية ثانيا. ان مسألة التاريخ كانت ولم تزل تشغل التفكير الانساني ..

وقد طوّر العديد من المدارس والمناهج والدرسات في فلسفتها وتقديم بعض من النظريات حولها. وتقوم الاجيال كابرا عن كابر بتطبيق تلك الافكار والرؤى والنظريات على واقع معين لتنتشله حتما.

السؤال الاخر: ما الكيفية التي تمكّن اي مجتمع ودولة من توظيف التاريخ والافادة منه؟

ان الكيفية التي نستطيع من خلالها ان نستكشف مثل هذا العالم الزاخر الذي لا يشعر بقيمته الا اثنين فقط ، هما: اولاهما صانع الاحداث التاريخية في الحرب والسلم واتخاذ القرارات المصيرية وشاغل الناس بقوة حكمه او فاعلية قراره او حركة فعله ناهيكم عمّا يتمتع به من الكاريزما "= القيادة السحرية" المؤثرة التي لم تستطع ان تخلق نفسها من فراغ، فمن دون شك ان اي كاريزما في تاريخ اي منظومة سياسية او اجتماعية وحتى ثقافية لا يمكنها ان تصنع نفسها الا من خلال استيعابها للتاريخ ودروسه سواء في حقل معين او في عدة حقول متنوعة. ثانيهما كاتب التاريخ "= المؤرخ" الذي ان استطاع ان ينجح في فهم مغزى ما يقرأ من خلال تحليلاته وتبيان عوامل صنع التاريخ ومسبباته واستكشاف نتائجه بل واستنباط استنتاجاته. ان المؤرخ هو الذي يقدر ويثمن دور هذا العالم الخطير من الماضي وكيفية معايشته من اجل الاستفادة منه الى الدرجة التي تسمح للمجتمع "وحتى الدولة" من درء مخاطر غير مكتشفة للاخرين.

واستطيع القول بأن صانع التاريخ لا يمكن المضي في عمله ووظيفته باتخاذ القرارات من دون قراءة ما يكتبه المؤرخون الذين يتفننون في أدائهم وقوة اعمالهم التي تميزها طبيعة المنهج المتبع والذي يتطلب قدرا كبيرا من العلمية من اجل كتابة تاريخ حيادي وأمين بعيد جدا عن المفذلكات والاكاذيب والتزويرات والتدليس.. لأنها كلها تسبّب جملة من المهالك التي لم تقتصر خطورتها على الحكام بل على المحكومين ايضا.

السؤال الاخر: هل ان تاريخنا تأسيس للفهم أم انه إعادة كتابة؟!

لابد لي من القول ان ما اصطلح على ترديده بـ"إعادة كتابة التاريخ" تمثل مقولة شهيرة شاعت منذ اكثر من عشرين سنة وكانت وما زالت يرددها جمع غفير من الناس ساسة وقادة ونخب وفئات وطلبة ومثقفين.. في أنحاء مختلفة من قسماتنا العربية من دون أي إدراك لمغزاها أبدا ومدى فائدة تلك "الإعادة" لكتابة التاريخ أو بالأحرى استنساخه. فهل بالإمكان حقا أن نتحدث عالميا او عربيا او محليا عن "مشروع" استراتيجي في تكويناتنا السياسية والحضارية المعاصرة حين نعيد كتابة التاريخ؟ وهل نجح العرب في القرن العشرين أن يفهموا تاريخهم بكل تنوعه وخصبه فهما حقيقيا؟ وهل استطاعت المؤسسات الثقافية والجامعية والمجمعية ومراكز البحوث العربية جمعاء وبكل ما اعتنت به أن تنجح في بناء جيل يفهم تاريخه فهما حقيقيا؟ وماذا حقق العشرات بل المئات من المؤرخين العرب الذين تزدحم بهم مؤسساتنا الاكاديمية والثقافية تلك من عملية إعادة الكتابة.. حتى نطالبهم بفهم التاريخ؟ أظن أن المشكلة ليست عندهم لوحدهم أو عند مؤسساتهم، بل تكمن في سياسات وزارات التربية والتعليم والثقافة والاعلام وحتى الداخلية في الدول العربية وادوار الحكومات والمجتمعات معا والتي لم تزل تحتكر جميعها مفاهيمها الخاطئة عن الماضي وعن الزمن وعن التاريخ والتراث.. وعن كل ما يخص جذورنا التاريخية التي اثمرت واقعنا اليوم. وتكمن الخطيئة عند البعض اعتباره ذلك الماضي مهما كان نوعه أشبه بالمقدس الذي لا يمكن أن تشوبه شائبة، وعليها ان تتمثله من خلال تقليده وتمثيل أدواره، فتطالب بإسباغ الشرعية والقداسة وكل عوامل الروعة عليه.

او ان تعتبره جنازة لابد ان تدفن وتسدل الاستار عن كل ذكرياتها ومنتجاتها.. وفي كلتا الحالتين، فان العرب هم من ابعد الناس عن الاعتزاز بالذاكرة التاريخية وفهمها واستيعاب الدروس منها، فهي بمثابة خزين حيوي من التجارب والخبرات والامثلة الحية.

* موقع الدكتور سيار الجميل.

عقيدة كونفوشيوس

ابو الفضل علي

احتوت العقيدة الكونفوشوسيه الكثير من عقائد الصين القديمة وكان لكونفوشيوس بالغ الاثر في تطوير هذه العقائد وجمعها وفق مذهب انساني يحتوي كل ماأستطاع ان يصل اليه عن طريق التفكر او استعماله المذهب التجريبي في سلوكية الانسان تجاه المجتمع والاخرين. وعلى الرغم من ان كونفوشيوس كان يتحاشى الكلام عن الغيبيات وألسماء وألاله ومابعد الموت الا ان تصرفاته كانت تشير الى رجل دين وفيلسوف في آن واحد ففي قول له عن مصدر الحكمة قال "من لايعترف بالقانون الالهي لايكون انسانا رفيعا" وفي قول اخر "ماأسمى التفوق الخلقي الذي مصدره الاله" كما انه اشار لفضل السماء حينما قال "السماء هي التي امدتنا بالصلاح الذي فينا" وأن كان ايضا لايطلب من اتباعه الأعتماد على السماء والقوة التي فيها في طلب الحوائج او غيرها من الطلبات.

فقد كان مؤمناً بأن التغيير لابد ان يحصل من الذات الأنسانية اولا، ولايمكن ان يحصل التغيير الا من خلال المعرفة الصحيحة والتي يعول عليها كونفوشيوس كثيرا في احداث التغيير الاجتماعي بالدرجة الأولى فالمعرفة الصحيحة هي من تجعل الذات تعرف نفسها معرفة صحيحة وهي وحدها قادرة على بناء مجتمع صالح فحكومة عادلة وبالتالي لايمكن تحقيق عالم تسوده العدالة والمحبة والسلام بدون الحصول على المعرفة الصحيحة.

لقد رأى كونفوشيوس ان الحكماء القدامى كان لهم التأثير الواضح في بناء المجتمع الصيني فكانوا يشجعون علي تعلم الفضائل، وكانت الأسرة هي المحطة الاولى في بناء المنظومة الأخلاقية فكان بناء الأنسان يحتل المرتبة الأولى في هذه المنظومة من خلال تهذيب النفس البشرية وبعدها تهذيب القلب وتطهيره من الامراض النفسية وقد ركز الفيلسوف كونفوشيوس على اهمية الأخلاص في التفكير وتجسيد هذا الاخلاص في العمل كما انه شجع على طلب العلم والمعرفة وتوسيع هذه الدائرة للحصول على اكبر قيمة من الحكمة عن طريق المدركات العقلية فلايمكن بناء المجتمع بناءا صحيحا الا من خلال البحث عن الحقيقة وبالتالي فأن العلة الغائية لهذا البناء هو الحصول على حكومة صالحة تنال ثقة الشعب.

ويوعز الفيلسوف كونفوشيوس اسباب الحروب والنزاعات الحاصلة بين الدول الى الشرائع الوضعية الفاسدة والتي اوجدت بدورها حكومات فاسدة، فالشرائع الوضعية في نظره لايمكن ان تبني اسرة صالحة بل على العكس انها تهيء اسرة مختلة لاتساهم في بناء نظام اجتماعي قادر على انجاب حكومة صالحة فعدم وجود الاخلاص في التفكير يؤدي الى عجز حقيقي في بناء ماحوله والقلوب التي لاتفكر ولاتدرك الحقائق لابد من ان تخفي طبيعتها المتدنية.

اذن فالجهل الذي يغطيها يجعلها تشوه الحقائق ويكون دينها هواها.

من خلال ايمان كونفوشيوس بعقيدته استطاع نشر تعاليمه التي تحث على التغيير من خلال بناء الانسان بصورة صحيحة وعبر عالم المعرفة رغم ان هذه التعاليم والحكم كانت شفهية على طريقة سقراط الا ان الشعب الصيني استطاع ان يدونها ويكتبها على الواح القصب، وهي الطريقة المعروفة انذاك في الصين.

*الحوار المتمدن.